



## سيرة السيد عمر مكرم

تأليف الأستاذ محمد فريد أبو حديد

للاستاذ أحمد أمين

ما كان لي - ولست متخصصاً في تاريخ مصر - أن أقدم للقراء كتاباً في تاريخ مصر الحديث . وأغرب من هذا أن أقدم كتاباً في تاريخ مصر الحديث للأستاذ محمد فريد أبو حديد ، وهو الذي وقف حياته على دراسة التاريخ ، وبخاصة تاريخ مصر ، فترجم « فتح العرب لمصر » تأليف الأستاذ بتلر ، وهو الكتاب الفخم الضخم ، لتي في ترجمته العناء المضني ، وأخرجه للقراء كأنه مؤلف عربي ؛ فذكر الأصول بنصها الأصلي ، وترجم الإنجليزية ، فلولاً ما وضع على الغلاف من أنه ترجمة ماشك القاري أنه عربي الأصل ، عربي الأسلوب ، عربي التفكير وأخرج « ابنة الملوك » ، وهي رواية تمثل عصر المماليك في مصر تصويراً دقيقاً ، سلسل حوادثها تسلسلاً بديعاً ، وصاغها في أسلوب شيق ، وروتن أنيق . ثم له الفصول الضافية ، والمقالات الكثيرة في تاريخ مصر ، وأحداث مصر ، وبطولة مصر .

ما كان لي بعد هذا كله أن أقدم كتاب « السيد عمر مكرم » للقراء ، وكان يكنى أن يقال إنه كتاب في تاريخ مصر للأستاذ محمد فريد أبو حديد ، ليشق القاري به ، ويقومه أحسن تقويم . ولكن أناج لي القدر أن أقرأ الكتاب قبل نشره وطبعه ، فراقى فيه - بجانب ناحيته التاريخية - ناحيته الأدبية ؛ فقد استطاع مؤلفه أن يصوغه صياغة لذيذة شائقة ؟ يقرؤه القاري فكأنه يقرأ رواية متممة لا كتاباً علمياً دقيقاً ، مع أنه كتاب علمي دقيق أيضاً : على أن في عالم التأليف روايات شائقة ، بنيت على أحداث تاريخية ثابتة ، ولكن عيها أنها قيمة من ناحية الأدب ، وليست بقيمة من ناحية التاريخ ، فلا يعرف القاري أي الحوادث نابت تاريخياً وأيها من نسج الخيال ، أما هذا الكتاب فقيم من

ناحيته الأدبية والتاريخية معاً ، فليس فيه من الوقائع ما هو نسج الخيال ؛ ومع ذلك استطاع المؤلف بمهارته أن يسبغ عليه متعة الرواية وإن لم يكن رواية

أشهد لقد بدأت قراءته وفي عزى أن أفرغ منه بعد أسبوع على أقل تقدير ، وأن أخصص له كل يوم بعض الوقت ولأعمال الأخرى بمضه ؛ ولكني مابدأت به حتى أنساني عملي ، وأنساني وقتي ؛ واستمرت في قراءته بلذة وشغف حتى أنهيتته شا كراً غاضباً ؛ فأما الشكر فلأنه هيا لي ساعات سعيدة لذيذة صرفتها في قراءته ، وأما الغضب فلأنه اختلس مني زمني ، من غير جرم يستوجب الحد ومزية أخرى واضحة في الكتاب تظهر لكل قاري ، وهو أن المؤلف عنى أكثر ما عنى - لا بالملوك والأصهار - كما فعل أكثر مؤرخينا - بل بالشعب وحركاته ونفسيته وحياته الاجتماعية وآماله الوطنية . واتخاذ السيد عمر مكرم محوراً لكتابه أكبر دليل على هذا ؛ فهو ليس ملكاً ولا أميراً ، ولكنه أحد أفراد الشعب ، وعظيم من عظائهم ، يشعر بشعورهم ، ويأمل آمالهم ، ويقصده الشعب في حوائجهم ، ويرجعون إليه في خطوبهم . فاتخذ المؤلف نواة نسج حولها تاريخ مصر في هذا العصر وخاصة تاريخ الشعب وتطوراته ونظراته وآماله وآلامه .

وكان حب « فريد » لمصر ، وعصبيته لكل ما هو مصري ، وحسن تقديره للشعب المصري سبباً في بعض الأحيان أن يلون بعض الأحداث لوناً زاهياً جميلاً براقاً يعجب الأديب والشاعر والسياسي ، ولست أدري إلى أي حد يعجب المؤرخ الجاف التزمت . ولكن نحن - على كل حال - أحوج ما نكون إلى الإكثار من الكتابة في تاريخ مصر في عصورها المختلفة ، ومن جوانب الرأي المختلفة ؛ فكل هذا يخدم مصر ويخدم الحق ويخدم التاريخ ويخدم السياسة

وأخيراً أهني أخي « فريداً » بنجاحه في هذا الكتاب ، وتوفيق الله له ، وأجدين مغتبطاً سعيداً بتقديمه للقراء ، وأرجو أن يجدوا فيه من الفائدة واللذة ما وجدت أحمد أمين